الاستراتيجيات التوجيهية في مقامات عائض القرني
-مقاربة تداولية-

حكيمة بوقرومة : أستاذة محاضرة أ
جامعة المسيلة- الجزائر

تاريخ إرسال المقال: 17/07 /2018 **تاريخ قبول المقال:** 02 / 2018/10

الملخص

اتّسمت مقامات "عائض القرني" بتنوع الموضوعات و الإحاطة بالخصائص الفنية المعروفة عند كتّاب المقامة، و قد غلب التّصريح أكثر من التّلميح، لأنّ الكاتب في مقام النّصح و التوجيه، معتمدا مختلف الإستراتيجيات في هذا المجال، كالنّداء، الأمر، النّهي، الاستفهام، الدّعاء، الاستغاثة، ... كما أنّه تصرّف تصرّفا واضحا في شكل و مضمون المقامة التي لم تعد مطابقة تماما لمقامات "بديع الزمان الهمذاني"، كونها لم تستند إلى شخصية خيالية و لا إلى راوٍ معيّن، بل راويها هو الكاتب نفسه، يبدأ كلّ مقامة منها بآية قرآنية، ثم يتلوها بأبيات شعرية، و هي متوجهة إلى متلّقٍ معيّن قادر على استيعاب معانيها و فهم مقاصدها.

الكلمات المفتاحية: المقامة- الاستراتيجية- التوجيه- التداولية- الخطاب.

Abstract

The sanctuaries of »Qarni «have been the artistic characteristics. It has been overruled by the strategy of interpretation rather than discourses, because the writer is in the position of preaching and guidance, adopting various strategies in this field such as calling, command, Prayer, distress, ... He also behaved clearly in the form and content of the establishment, which is no longer exactly identical to the premises of"Badeezaman Hamadani", because it was not based on a fictional character and not to a certain rao, but narrator

المؤلف المرسل: حكيمة بوقرومة: hakima1200@gmail.com

is the same writer, Including a Koranic verse, and then followed by poetry verses, which is directed To a given recipient capable of understanding its meaning and understanding its purposes.

Key words: sanctuaries- strategie- guidance- pragmatic- discourse**.**

1- المقدمة

يزخر الأدب العربي بفنون أدبية مختلفة، كالقصّة و الرّواية و الشّعر، و غير ذلك، و تعتبر المقامة واحدة من تلك الفنون الأدبية الهامة، ارتبطت بغايات و مقاصد تختلف من مقامة إلى أخرى، و هي نصوص حلّيت بألوان البديع، و زيّنت بزخارف السّجع، كما اعتنت عناية فائقة بنسبها و معادلاتها و مقابلاتها الصّوتية، ممّا يجعل هذا الفن في غاية الأهمية، و قد اتّخذها الأدباء كوسيلة لإظهار براعتهم و مقدرتهم اللّغوية و البلاغية.

و المقامة حديث أدبي بليغ، ليس فيها من القصّة إلا ظاهرها، و قد نحت منذ ظهورها نحو بلاغة اللّفظ و توظيف اللّغة لذاتها، أساسها العرض الخارجي و الحلية اللّفظية. و من بين المقامات اخترنا "مقامات عائض القرني"، و بما أنّ هذه المقامة يغلب عليها التّوجيه، فإلى أيّ حدّ يمكن القول إنّ هذه المقامة قد خالفت المقامات السّابقة التي لم يكن هدفها سوى الزّخرفة اللّفظية، حتى إنّ الحادثة التي كانت تحدث لبطل "الهمذاني" و "الحريري" و غيرهم لا أهمية لها، بالمقارنة مع الجانب اللّفظي الذي تهتّم به، و إذا كانت مقاماتنا تختلف عن هذا النّمط، فما هي المقاصد التّي سعى "القرني" إلى تبليغها؟

هذا ما سوف نجيب عنه عند تحليلنا للمقامات، و إخضاعها لوجهة نظر التّداولية، في إحدى استراتيجياتها الهامّة، و هي الاستراتيجية التّوجيهية، لذلك سوف نعتمد إجراءات المنهج التّداولي المتعلّقة بهذه الاستراتيجية.

2- موقع مقامات القرني في سياق تطور الفن

1.2- نشأة المقامة في الأدب العربي و تطورها

تعدّ المقامة فنا أدبيا ابتكرها "بديع الزمان الهمذاني"، و أطلق عليها هذه التسمية حتى اشتهر بها، و قد نسج على منواله كثير من الأدباء الذين جاءوا بعده في مجالات متنوعة، مثل "الحريري"، الزمخشري"، "السيوطي"، "عائض القرني"، وغيرهم. يقول "القلقشندي": « واعلم أن أول من فتح باب عمل المقامات علاّمة الدّهر وإمام الأدب البديع الهمذاني فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه و هي في غاية البلاغة و علّو الرّتبة في الصّنعة».[1]

و لقد تبلورت فكرة المقامات عند "بديع الزّمان الهمذاني" نتيجة لأمور عدّة و أفكار متنوعة، تجمعت في ذهنه و دعته إلى كتابة المقامات على الشّكل المعروف، الذي له سياق خاص و فكر متميز و معانٍ مقصودة.

و لكلّ كاتب من كتّاب المقامات الذين جاءوا بعد "الهمذاني" خصائص و مواضيع تختلف فيها عن المقامات الأخرى، رغم أنها في مجملها تشترك في جملة من الخصائص التي لم يخرج عنها معظم الكتّاب في هذا المجال، فأسلوب المقامة يعتمد على الملاءمة بين الشّعر و النّثر، و توظيف شعر الأقدمين، و الاقتباس من القرآن الكريم و الاستشهاد بالحديث النّبوي الشّريف، بالإضافة إلى ابتكار الألفاظ المتلاحقة المتتالية من أجل تسليط الفكرة على المعنى الواحد، فيأتي البيان بصور مختلفة، للإبانة عن القصد، و جلب انتباه القارئ الذي سوف يتعجب من كثرة توالي الصور المترادفة.

و إلى جانب ذلك تحفل المقامات بألوان شتى من الصور البيانية و المحسّنات البديعية، و من ذلك، الاستعارة، الجناس، السّجع، التلاعب بالألفاظ، و « لعلّ سياق القصّة في المقامة و القصد يفرض التّعبير عن معنى ملتزم محدود هو الذي يحلّل الأسلوب في بعض الأحيان».[2]

لم تخرج مقامات "عائض القرني" التي هي موضوع دراستنا عن هذه الخصائص، لما اتّسمت به من تنوع الموضوعات و إحاطته بالخصائص الفنية المعروفة عند كتّاب المقامة، فقد أشار "القرني" في مقدّمة هذه المقامات إلى المواضيع التي تناولها في مقاماته و خصائصها، مشيرا إلى أنه ليس أوّل من يكتبها، بل سبقه إليها أعلام، فيقول: « فقد سبقني إلى هذا الفن أعلام، لهم في الحكمة أقدام، و في حومة البيان أعلام، و في طروس الفصاحة أقلام. فمنهم من خصّ بمقاماته الأدب، و ثان في ذكر من ذهب، و ثالث في الحبّ، و رابع في الطبّ، أما أنا فأطلقت للقلم زمامه، و سرّحت خطامه، و أزحت لثامه، ليكتب في فنون، و يسيل في شجون، ذاكرا من سلف و من خلف آخذا من كلّ حكمة بطرف، و ربما لمحت في المقال بعض الخيال، فلا تبدِ لنا قسوة، فلي في ذلك أسوة، فإنّ الأمم استنطقت الجمادات، واستفهمت العجماوات، و قوّلت الكلام الحيوانات، و كلّمت الأطلال، و نسبت الحديث إلى الشّجر و التّلال، تعريضا و تلميحا، و نسبة و تصريحا».[3]

تنوعت مواضيع المقامات عند "القرني"، فشملت أمور الدّين و الدّنيا، بدأها بمقامة التّوحيد، و المقامة الإلهية، ثم النّبوية، و الكونية، و القرآنية و الحديثية و

العلمية و السّلفية، ثم مقامات شتى بأسماء الأنبياء، كالمقامة اليوسفية و السليمانية، و أخرى بأسماء العلماء، كالمقامة التيمية و البازية، بالإضافة إلى المقامة الأدبية والخطابية، و التاريخية و السياسية و الجامعية، و الطبية و التجارية، و الأخبارية، ومقامة الحبّ و الجمال، و المقامة النّحوية، و مقامة البخلاء، و مقامة السّعادة، ثمّ مقامات تتعلق بالبلدان، كالمقامة اليمانية و المصرية و الدّمشقية، و البغدادية والفلسطينية و الأندلسية و غيرها.

ثمّ يكشف عن منهجه في هذه المقامات، فيقول: « و قد جانبت في هذه المقامات التّجريح، سواء بالتّلميح أو بالتّصريح، و دبّجتها بالثّناء و المديح، لأن القول اللّين، والخلق الهيّن، يجلب الودّ، و يزيل الصدّ، و كسر القلوب غلط، و جرح المخاطَب شطط، فهنا ملاينة لا مداهنة، و ليس الخبر كالمعاينة، و مداراة لا مجاراة، و لي في هذه المقامات رسائل، و من العلم مسائل»[4]، ثم يقول: « و قد جانبت فيها الهمز، والغمز و اللّمز، فلا مصلحة لنا في التعرّض للأشخاص و الأجناس، أو تتبع عثرات النّاس، بل نحن أحوج إلى جبر القلـوب، و دفن العيـوب، و من وجد نقصا فليعفُ عنا، و من غشنا فليس منّا».[5]

2.2- خصوصيات مقامات القرني

إذا بحثنا في أنماط تلقي المقامات في النّقد العربي الحديث، و التي بدأت بمقامات "بديع الزّمان الهمذاني"، سوف نرصد ثلاثة أنماط من التلقي، هي: التلقي الإحيائي الذي يسعى إلى إحياء المقامات و بعثها تفسيرا و شرحا و تحقيقا و طباعة، وفي الوقت الذي كان فيه هذا النّمط مهيمنا كانت هناك ثمة عناصر متبقية من نمط التلقي العربي القديم للمقامات، و قد شهدت اللحظة الأخيرة لهذا النّمط، انبثاق نمط ثان، هو التلقي الاستبعادي و الذي ظهر كرد فعل للتلقي الإحيائي، و هكذا يصبح التلقي الاستبعادي مهيمنا على ساحة القراء منذ العقد الأول من القرن العشرين، و ما كاد العقد السادس من القرن العشرين يكتمل حتى ظهرت تباشير نمط جديد من التلقي هو التلقي التّأصيلي، الذي حاول ربط الأشكال الأدبية المستحدثة بالمقامات القديمة.[6]

و هكذا كان تلقي المقامات متقلبا على حسب الخصائص الفنية للمقامات، رغم أن سيطرة ألوان البديع و خاصة السّجع على هذا الفن، نجده مشتركا عند كل الكتّاب، إلا أنّ المضمون يختلف من كاتب إلى آخر، و خاصة عند الكتّاب المتأخرين، و لقد عالجت المقامات في بداياتها فكرة الكدية التي كانت دافعا أساسيا من دوافع نشأة فن المقامة، فانتشار الكدية في القرن الرّابع كانت تسمى بـ

"مناكاة الساسانيين"، « و هم أصحاب الكدية يتجولون في البلاد المختلفة و الأمصار المتباعدة يتكسّبون بالأدب تارة و تارة أخرى يحتالون على النّاس بحيل ملفّقة وأكاذيب مختلفة و قد أطلقوا على أنفسهم بني ساسان أو "الساسانيين"».[7]

و من خلال ذلك، يتبين أنّ الكدية لم تكن أمرا هينا و لكنّها« علم و فن ودراية ومران ودربة و تلقين لها أصولها و لها دستورها الذي من أجاده سار في طريقه موفّقا و من لم يتقنه كتب عليه الفشل الذّريع و الخيبة الدّائمة».[8]

إنّ الكتّاب المتأخرين تصرّفوا تصرفا واضحا في شكل و مضمون المقامة، التي لم تعد مطابقة تماما لمقامات "بديع الزمان الهمذاني"، و هذا ما نلاحظه في مقامات "عائض القرني"، التي لم تعالج فكرة الكدية، بل خصّصها لمواضيع مختلفة و مهمة سبقت الإشارة إليها.

و أشار "عبد الفتّاح كيليطو" إلى الإشكالية المطروحة على مستوى المقامة، مقترحا الحل المناسب، بحيث نبّه إلى ضرورة اعتبار"المقامة" نوعا و نمطا من الخطاب، فنحن نتحدّث عن نوع "المقامة" كلّما جرت محاكاة طريقة "الهمذاني"، حيث يسند المؤلف القول على النّمط الخيالي، لشخصية أو عدّة شخصيات، كما أنّه ما يجب ملاحظته ليس النّوع، بل استخداما معيّنا للخطاب الذي يتجاوز الأنواع.[9]

و مقامات "عائض القرني" تختلف عن مقامات "الهمذاني"، كونها لم تسند إلى شخصية خيالية و لا إلى راوٍ معيّن، بل راويها هو الكاتب نفسه، يبدأ كل مقامة منها بآية قرآنية، ثم يتلوها بأبيات شعرية، و كل ذلك يمكن اعتباره كلازمة ضرورية في بداية كلّ مقامة، و كانت أول مقامة هي "مقامة التّوحيد".

و كان "القرني" قد أشار في مقدمته إلى أنّ مقاماته موجهة إلى متلق معيّن، قادر على فهم معانيها، توجهه إلى خير الدّنيا و الآخرة، فهي موجهة إلى الذين يفهمون مقاصدها، و يقدّرون ما فيها من توجيهات و يعملون بنصائحه، فيقول: « و سوف يقرأها صاحب ورع بارد، و ذهن جامد فيتأفف، و يتأسّف، و يقول: الرّجل تكلّف و تعسّف، فأقول: ليس هذا بعشك يا حمامة، فادرجي، فقد جعلت القلم و اللّسان أوسي و خزرجي، و علمت أنّه مع كلّ بانٍ هادم، و من راقب النّاس فهو النّادم، و قد عاب المخلوق الخالق فقال تعالى: (يسبّني ابن آدم)».[10]

ثمّ يقول: « و إذا أراد الله لعمل بشر أن ينتشر، قيّض له أهل خير و شرّ، فصاحب الخير له نصير، و ظهير و خفير، و وزير، و صاحب الشرّ سبّاب عيّاب، له من الحسد ناب، و له من العداوة مخلاب».[11]

فخطاب مقامات "القرني" له أولوية التوجيه و النّصح و التّحذير، و من هذا المنطلق تعدّ الاستراتيجية التّوجيهية توجيها للمرسل إليه لفعل مستقبلي معيّن،من خلال استعمال جملة من الأساليب و الأدوات اللغوية، لتبليغ المحتوى الذي يرغب في إيصاله إليه.

و الاسترتيجية التّوجيهية هي تلك الاستراتيجية التي تصدر من المرسِل باعتباره يمتلك السّلطة في الخطاب إلى المتلّقي، باستعمال جملة من الضمائر ظاهرة كانت أو مضمرة تحيل على تلك السّلطة، لتوجيهه إلى ما فيه مصلحته، مع الوضوح في التّعبير والقصد و عادة ما تستعمل أسلوب التأدب. [12]

يتوجه الخطاب إلى قارئ مثالي، له قدرة عالية تجعله يمتلك دليل المؤلف نفسه [13]، هذا القارئ له صورة نمطية في السياق، مما يؤكد عدم حضوره عند إنتاج الخطاب.

- العناصر التداولية للاستراتيجية التوجيهية في مقامات عائض القرني

1.3- العناصر التوجيهية في مقام النّصح و الإرشاد

يلجأ المتكلم إلى استخدام الاستراتيجية (*) التوجيهية عندما يولي عنايته لتبليغ مقاصده و تحقيق هدفه الخطابي، و رغبة منه في أن يكلّف المتلّقي بعمل ما، أو يوجهه لمصلحته من جهة، و إبعاده عن الضّرر من جهة أخرى، أو توجيهه لفعل مستقبلي معيّن، حيث يتوجه المتكلّم بخطابه إلى التّكثير من فائدة المتلّقي، فيستعمل هذه الاستراتيجية في شكلها الأكثر مباشرة للدلالة على قصده، كالأمر و النّهي الصّريحين[14]، و هذا حتى يستجيب المتلّقي، و غالبا ما يبدآن بالنّداء.

يعدّ **النّداء** من الأفعال التّوجيهية، لأنه يحفز المتلقي لرد فعل المتكلم، يتأتى بإحدى الأدوات التالية: الهمزة، أي مقصورتين و ممدودتين، الياء، أيا، يا، و هي تدخل على كلّ نداء. [15]

و قد لوحظ استعمال النّداء كثيرا في هذه المقامات بالأداة (يا)، و توجه إلى منادى متنوّع (يا مسكين، يا أهل العقول، ، يا مغرور، يا من أساء، يا رب، يا أصحاب قنوات الفضاء، يا أهل القنوات، يا صنعاء، يا كثير الرّقاد، ...). كما حذفت أداة النّداء في مواضع أخرى و تمّ الاكتفاء بالمنادى (أيها)، متبوعا بكلمة أخرى، و(أي) هو منادى مبنيّ على الضمّ في محل نصب لأنّه وحده يعدّ نكرة، فيلجأ الكاتب بعد ذلك إلى ذكر اسم معرّف لتوضيح مقاصده، و ذلك في مثل العبارات التالية: (أيها الملهم، أيها الخليجيون أيها الغرب، أيها الأخيار، ...)

و الملاحظ مما سبق في هذه المقامات كثرة استعمال أداة النداء (يا)، و تواتر توظيف المنادى (أيها)، و أحيانا يجمع بين (يا) و (أيها)، و هذا كفيل بإيصال الفائدة إلى المخاطبين، فقد خاطب الكاتب الإنسان و خاطب المدن و القنوات، و غير ذلك.

و من أمثلة النّداء في المقامات، ورد في "مقامة التوحيد" بعد عرض حقيقة التوحيد الذي هو حق الله على عباده، و أنّه أول ما دعا إليه الرّسل، و أنّه أصل الأصول، و به يعرف المعبود، و لأجله أعدّت الجنة و النار، و غير ذلك [16]، فبعد الأسلوب الإخباري الذي أطنب به الكاتب في إظهار مزايا التوحيد، اتّجه إلى الأسلوب التّوجيهي، فراح ينادي العباد و يحثهم على ضرورة توحيد الله سبحانه و تعالى، فيقول: « فيا أيها العباد خذوا من التوحيد قطرة، و ضعوه على الفطرة، و ولّوا وجوهكم شطره، و يا من أثقله الهم، و أحاط به الغمّ، و هزّه الألم الجمّ، قل لا إله إلا الله».[17]

ثمّ يواصل كلامه مكتفيا بالأداة (يا)، قائلا: « و يا من أثقلته الديون أو غيبته الشجون، و بات و هو محزون، قل لا إلاه إلا الله. و يا من اشتدّ به الكُرَب، وعلاه الخَطْبُ، اذكر الربّ، و قل لا إله إلا الله».[18]

لجأ "القرني" هنا إلى تنبيه المتلّقي إلى ضرورة توحيد الله، فهو وحده المعبود و المستحق للعبادة، و ظلّ يكرّر "قل لا إله إلا الله"، قصد الاستجابة السّريعة التي تحقق الهدف.

كما ينادي الإنسان و يدعوه إلى تدبر الكون، و النّظر في الملكوت، فيقول: « أيها الإنسان، شاهد الكون، بعين الإيمان، تنظر للشّوك و لا ترى الزّهور، تشاهد الآسن و لا تبصر الظهور، يهولك اللّيل بالظلام، و لا تستمتع ببدر التّمام، تشكو من حرارة الشّمس اللاذعة، و لا تتلذذ بتلك الأشعة السّاطعة، ...».[19]

فالكاتب يدعو الناس إلى النظر في الكون و المخلوقات المتمثلة في الشّمس والقمر، و النّباتات كالشّوك و الأزهار، و التأمل في الصّحراء، و الرياح و الصّخور، والماء و التّراب، و غيرها من الأمور التي لا تحصى، و التي هي كلها من خلق الله سبحانه و تعالى، و الهدف الذي يسعى إليه هو جعلهم يؤمنون بتلك القوة التي تعلو على كلّ القوى، و بالتّالي يكون النّداء فعلا كلاميا يصف الواقع و يدعو إلى النّظر في الكون بعين الإيمان مع التفكّر و التدبّر.

و لقد تجاوز نداء الإنسان إلى تشخيص الجامد، فنادى صنعاء و عدن، و نادى بلاد الغرب، فجعل من المدن كائنات تسمع النّداء، فقال: « يا صنعاء نريد منك جيلا ربانيا، و شبابا محمديا، و عَزْمًا يمانيا، و شكرا يا عدن على ترحابك بأتباع النبي الأمين، و طردك لعبيد لينين، و أذناب إستالين، لأنّ العزة لله و لرسوله و للمؤمنين».[20]

لقد خاطب صنعاء، مبرزا رغبته في أن يكون جيلا ربانيا و شبابا محمديا، ثم شكر عدن على ترحابها بأتباع النبي -صلى الله عليه و سلّم- و طرد عبيد لينينن وإستالين، و في الحقيقة الخطاب موجه إلى النّاس الذين يقيمون بتلك الدّول، لأنهم هم الذين قاموا بتلك الأفعال، فلجأ الكاتب إلى مخاطبة أولئك النّاس باسم مدنهم، لإعطاء الكلام طابعا مجازيا يساهم في الإقناع أكثر، فكان النّداء بمثابة إنجاز تلفظي أعطى لهذه المقامات بعدا دلاليا هاما.

و الملاحظ أنّ النّداء كان بمثابة مدخل للأفعال الكلامية الأخرى، و لذلك يمكن اعتباره كفعل كلامي شامل، ليأتي بعده الهدف المقصود مباشرة،[21] و لذلك جاء مصحوبا بالأمر و النّهي في أغلب الأحيان، قصد إقبال المنادَى على المنادِي، ليتمكن من توجيهه إلى ما يريده، و لقد جاء الأمر و النّهي متشابكين مع بعضهما البعض في أغلب الأحيان، كون الكاتب يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر في الوقت نفسه.

لقد ترسخت التداولية في أحد مباحثها الهامة، كدراسة لغوية تتناول أفعال الكلام، فالنص وظيفة يقوم بها المتكلّم بإنجاز فعل كلامي أو سلسة من الأفعال الكلامية، كالأمر و الوعد، ... [22] يبرز من خلالها هدفه في ممارسة سلطة المعرفة والاعتقاد من خلال استراتيجيات توجه الحوار، ما دامت الحقيقة مرتبطة بحركة التّواصل و المعنى المستهدف.[23]

إنّ **الأمر** هو طلب إجراء فعل يتحقق في صور تداولية عديدة، كالدّعاء، والتّهديد، و الالتماس، و الاحتقار، و التعجب، و النّدب، و غيرها. أما النّهي فهو طلب الكف عن فعل ما، يحقق تداولية الكراهة و الدّعاء و الإرشاد، و بيان العاقبة والإهانة و اليأس.

فالأمر يعدّ قسما من أقسام الكلام، صنّفه المحدثون كجزء من الأفعال التوجيهية، صيغته الأصلية هي فعل الأمر، حيث يكون الآمر أعلى مرتبة من المأمور، و تتواكب صيغة الأمر بسلطة المرسل.

أمّا **النّهي**، فله صيغة أصلية يتلفظ بها المرسل في خطابه، له حرف واحد، وهو لا الجازمة النّاهية، بصيغة: لا تفعل، يفيد طلب التّرك، فالأمر و النّهي مكونان فوريان.[24] ورد الأمر و النّهي في أغلب الأحيان متداخلين و متشابكين فيما بينهما، وهذا راجع إلى طبيعة المقامات المرتبطة بالتوجيه و الإرشاد، و بمصلحة الدّنيا والآخرة، و دعوة النّاس إلى الخير و الفلاح و نهيهم عمّا يسيء إليهم في الدّارين (الدّنيا والآخرة)، و من أمثلة ذلك، قوله: « فهذّب لسانك و جوّد بيانك، و درّب جنانك، وأطلق

في الفصاحة عنانك، لتكون الخطيب المسدّ، و المتكلّم المؤيد، و حذار من ترداد الكلام، فإنه يتحول إلى ركام، و يصبح الخطيب أقبح في العين من الظّلام، و إياك و التقعر و الغرابة، فإنّها من عيوب الخطابة، و لا تكرّر العبارة، و لا تكثر الإشارة، و لا تقحم نفسك في فنون أهل الاختصاص، و لا تجرح الأشخاص، واخلط الترغيب بالترهيب، و الوعظ بالتأديب، و تحبّب إلى السّامعين بالطيب من الكلام، و لا تتعرّض للشّتم و الملام ...». [25]

فالكلام جزء من "المقامة الخطابية"، و هو دعوة الخطباء إلى إحسان الخطبة، وذلك بتهذيب اللّسان و عدم التّلعثم في الكلام، و تجنّب الغمغمة و التّمتمة، مع الإكثار من البيان و الدّعوة إلى الفصاحة في القول، و النّهي عن تكرار الكلام الذي سيصبح حشوا و ركاما لا فائدة منه، و تجنب الغريب، و عدم الإكثار من الإشارات، و اللّجوء إلى التّصريح أكثر من التّلميح و عدم تجريح النّاس و شتمهم، مع المزج بين أسلوبي التّرغيب و التّرهيب، و الوعظ بأدب، ثمّ يدعو الخطيب أن يتحبّب إلى الجمهور المستمع للخطبة، و مخاطبتهم بالكلام الطيّب، حتّى تألف القلوب وتستيقظ المشاعر الطيّبة.

لجأ المرسل إلى جملة من الأمر و النّواهي، لينال خطابه القبول، فيوجه المتلّقي إلى المنفعة، و يقدّم له تعليمات، و كونه داعية معروف، فإنّه يمتلك السّلطة على الجمهور المتلّقي، لذلك قدّم سلسلة من الأوامر و النّواهي التي تحدّد نوعية العلاقة بين الطّرفين، و التي هي علاقة الداعية بالمدعو، و لذلك وجبت الاستجابة له، لأنّه يدعوهم إلى الخير و الفلاح في الدّنيا و الآخرة، و دعوة إلى حسن التأدب مع الجمهور الذي يخطب فيه، و ينهاه عن كلّ ما يسيء إليه كخطيب بصيغ متنوعة، ممّا يدل على كفاءة المرسل اللغوية و التداولية و القدرة على إيصال الرّسالة سهلة واضحة، ومن خلال ذلك يُفهم القصد دون حاجة إلى التّأويل.

و مثال الأمر المنفصل عن النّهي، قوله: « يا مجلس الأمن حفّظ أعضاءك "الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن و هم مهتدون"، لينقلوها لشعوبهم التي عطلت القرآن و صدّت عنه و هجرته فذاقت لباس الجوع و الخوف و البأساء والموت». [26]

هذا الكلام هو دعوة أعضاء مجلس الأمن إلى تحفيظ المؤمنين آيات القرآن الكريم التي تأمر بترك الظّلم، فالإيمان و الظّلم لا يجتمعان، فالخطاب هنا يعتمد الصيغة نفسها، بداية الكلام بالنّداء، ثمّ أمر مجلس الأمن الذي هو في الحقيقة دعوة لأعضائه، أن يحفظوا الآية، ثمّ لينقلوها إلى شعوبهم التي صدّت عن الذّكر،

فأصابهم الجوع و الخوف و البؤس و الموت، فالأمر هنا يحمل معاني التّوجيه و النّصح، لتحقيق المنفعة و الالتزام بهذه التّوجيهات.

هذه الأوامر و النّواهي تساهم في التّفاعل و التّواصل مع المتلّقي، و تتضمّن عبارات مسجوعة في أغلبها، ليشدّ بها المتكلّم على الدّلالة و القصد و ليلفت بها الانتباه، و يحدث بها موقعا متوازيا على سمع المتلّقي. و من إحدى خصائص المقامة الأساسية، التزامها العبارات المسجوعة، و من أمثلة ذلك قوله: « شدّوا العمائم، وجدّوا في العزائم، و تسلّحوا بالصّبر الدّائم».[27]

إذ لا يخفى الأثر الموسيقي للسّجع الذي تحفل به هذه المقامات، و دوره في جلب الانتباه و الاستجابة للأمر و الانتهاء عن النّواهي، ممّا يحدث التّواصل بين طرفي العملية التّخاطبية.

يعدّ **الاستفهام** واحدا من الآليات التّوجيهية بوصفه يوجّه المرسل إليه إلى ضرورة الإجابة عنه، فيستعمله المرسِل للسّيطرة على مجريات الأحداث، و السّيطرة على ذهن المرسَل إليه، و تسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسِل، و تعدّ الأسئلة المغلقة من أهّم الأدوات اللّغوية لاستراتيجية التّوجيه.[28]

و من أمثلته في المقامات، قوله: « أين عقلك يا مغرور؟ هل نسيت يوم العبور، وساعة المرور؟ كلّ طائر من خوفه يخرّ صريعا، و كلّ كاسر يئن من خشيته وجيعا».[29]

بدأ المرسِل باستفهام مهم موجه للمغرور، فتساءل أين هو عقلك؟ لأن العقل مصدر التّفكير السّليم الّذي يوجه النّاس إلى الحق، جامعا بين الاستفهام و النّداء، ثمّ يواصل باستفهامات أخرى تالية للاستفهام الأول، و شارحة له، فيسأل هذا المغرور هل نسيت يوم العبور و ساعة المرور؟، و يعني به عبور الصّراط الذي هو أدقّ من الشّعرة وأحدّ من السّيف، فالاستفهام هنا يحمل معنى التّذكير و التّوجيه، انتهى بتقديم المعلومات المهمّة، فليس المقصود من ذلك الإجابة عن السؤال، و إنّما قصده أن تكون الإجابة في عمل فعلي، و هو ترك الغرور و تذكّر يوم البعث و الصّراط.

و هناك استفهامات أخرى متتالية تبدأ بنداءات في قوله: « يا أصحاب قنوات الفضاء، يا من أعرض عن الوحي و الرّسالة و القضاء، ما لكم تنشرون غسيلكم، وتجعلون الهوى سبيلكم، أين الكلمة الأمينة، و الفكرة الرّصينة و المقولة الرّزينة؟ أين البيان الخلاّب، و المنطق الجذّاب؟ لغة سوقية، و لهجة فوقية، و دعوة شقية، أزياء و إغراء، و غثاء و هراء، وادّعاء وافتراء».[30]

يتوجّه الكاتب بنداء لأصحاب القنوات الفضائية الخليعة، و الّذين يصفهم بأنّهم أعرضوا عن الوحي و الرّسالة و القضاء، فهم معرضون عمّا نزل به الوحي على رسول اللّه –صلى اللّه عليه و سلّم-، و عمّا جاء به من رسالة، ثمّ يأتي الاستفهام الأوّل على شكل مجاز، إشارة إلى ما يُنشر في هذه القنوات من أمور و أهواء و إغراءات مستهترة، تدعو إلى الرّذيلة، ثمّ يتساءل عن الأمانة التي ضيّعها هؤلاء، فبدلا من نشر الأفكار الرّصينة و المقولات الرّزينة بأسلوب خلاّب، و منطق جلاّب، فإنّهم يستعملون اللّغة السوقية و اللّهجة المستهترة، فدعوتهم تلك شقية و عملهم غثاء و هراء وافتراء.

وردت "مقامة المتنبي" على شكل سؤال و جواب، فالكاتب يسأل المتنبي سؤالا معيّنا و المتنبي يجيب بواسطة أبيات من شعره، يقول: « لقيت أبا الطيّب أحمد بن الحسين، بعد بضع سنين، و هو من الشّعراء المحسنين. فكلّما سألنا عن الأخبار، أجاب بالأشعار».[31]

و من أمثلة هذه الأسئلة و الأجوبة: « قلنا من أنت؟

قال: أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي و أسمعت كلماتي من به صمم

الخيل و اللّيل و البيداء تعرفني و السّيف و الرّمح و القرطاس و القلم

قلنا: أما ترى السّفهاء، ينالون العظماء؟

قال: و إذا أتتك مذمّتي من ناقص فهي الشّهادة لي بأنّي كامل»[32]

جاء الاستفهام هنا على شكل استخبار، فالكاتب يسأل عن الأخبار والمتنبي يجيب بالأشعار، فقد جمع الكاتب بين الشّعر و النّثر، فالسّؤال نثري و الجواب هو شعر من أشعار المتنبي، جمع ذلك في مقامة واحدة، فالقرني حين لا يجد من شعره ما يتلاءم مع الغرض، يلجأ إلى الاقتباس من شعر الأقدمين، و لهذا أجاد في "مقامة المتنبي"، حيث جمع جملة من أشعار "المتنبي" التي زادت من جمال المقامة، بطريقة رائعة و جميلة تجمع أغراضا مختلفة للشّاعر، و كانت كثير من ألفاظ الاستفهام في هذه المقامة و غيرها من المقامات الأخرى، مبتكرة متلاحقة و متتالية، يحاول تسليط الفكرة على المعنى الواحد، فيأتي البيان بصور مختلفة للإبانة عن المقصود، حتى يُعجب القارئ هذا التوالي للصور المترادفة، بالإضافة إلى أنّها تحفل بالاستعارات والجناس و السّجع، و لعلّ سياق المقامات و القصد يفرض التّعبير عنها بتلك الطّريقة.

فالاستفهامات في "مقامة المتنبي" ارتبطت بالإجابة، و أفادت الإخبار و التّقرير، من خلال التّطابق بين وظيفة السؤال التداولية و الحقيقة الإخبارية للجواب الشّعري،

ومن هنا يمكن أن نعتبر السؤال و الجواب لهما مقصد الإبلاغ عن شخصية "المتنبي" وصفاته، و إخبار المتلقي بذلك، كما انبنت هذه المقامة على الحوار.

2.3- العناصر التّوجيهية المتعلّقة بالانفعالات و التّحذير و إظهار العاقبة

يستعمل المتكلّم في مقامات خاصّة كالرّضى و الغضب و الحزن، ... أفعالا كلامية قصد التّعبير عن المشاعر و الأحاسيس، و قد يبادر إلى التّعبير عن هذه الأحاسيس لمشاركة غيره، كأن يغضب أحدنا لغضب صديقه، أو يحزن لحزنه، هذه الأفعال التّعبيرية كثيرة، منها: الشكر، الاعتذار، التهنئة، المواساة، النّدم، الحسرة، الأسف، الغضب، ...[33]

وردت أفعال كلامية في "المقامة القرآنية" يتحسّر فيها الكاتب و يتأسّف عن عدم تحكيم القرآن الكريم في أمور حياتهم، قائلا: « واحسرتاه يوم نحي القرآن عن العالم كيف عذّب و سحق و محق و مزق، و لو كان القرآن معهم لما قامت الأولى ولا الثانية...».[34]

و يقول: « واحسرتاه يوم عزل العلم عن القرآن فصار علمًا طاعنا باغيا كافرا فاجرا... وواسفاه يوم أبعد الفن عن القرآن فصار فنا ممسوخا مسلوخا ساخرا...».[35]

فالعبارات السّابقة تجمع مشاعر الحسرة و الأسف، على حال العالم الذي لم يتّخذ القرآن منهجا للحياة و دستورا للأمّة و قضايا الإنسان و ميثاقا للشعوب، فقد «قال أكثر العالم للقرآن نعم في افتتاح المؤتمر و ختام الجلسة و على القبر، و عند عقد النّكاح، و على روح الميّت، و قالوا للقرآن لا في أول مادة القانون، و في بداية الدّستور، و عند إصدار الحكم و زمن التّنفيذ».[36]

و نتيجة لهذا التّناقض يتحقق الجزاء المتمثل في الخراب و الدّمار لعدم تحكيم القرآن الكريم في أمور الحياة، فأزهقت الأرواح، و دمّرت حياة البشر، فتشوه العالم و صار متخلّفا مقيتا، و ظهر الطّغاة و الجبابرة، و نشأت أجيال عاقّة، ماردة، متهتّكة.

فالعبارات السّابقة تحقق تداولية الكراهية من واقع مرير و جزاء لا مفر منه، جرّاء ابتعاد هؤلاء النّاس عن تحكيم القرآن الكريم في أمور حياتهم، و لذلك برزت أفعال الحسرة التي تجسّد الحالة النّفسية للكاتب الذي أخذ على عاتقه نصح المتلّقي و إرشاده إلى ما فيه الصّلاح في الدّنيا و الآخرة، و قد غلب عليها التفجع الذي راح يتدفق عبر فقرات المقامة، فكثرت الأفعال التي تدلّ على الانفعال و الخيبة، جاءت كلّها بعد لجوئه إلى النّصح و التّحذير بواسطة الأمر و النّهي، مما يدل على رغبة المرسِل في تغيير الواقع إلى ما هو أفضل.

إنّ ورود أفعال الحسرة و الأسف، لا يعني أنّ الكاتب قد فقد الأمل نهائيا، بل وردت أفعال أخرى للتمّني، الهدف منها تغيير حال النّاس ممّا هم عليه، فيقول: « و ليت النّاس سلكوا مذهبهم، فقد علم كلّ أناس مشربهم، و يا من اشتغل بالأشعار، عليك بالأذكار، و إدمان الاستغفار، و الخوف من القهّار، فإنّ اللّسان ثعبان، و مامك قبر و ميزان، و نجاة و خسران، و لا يكن لسانك كالمقراض للأعراض، و لا يكن كالمقباض للأغراض، فإنّ الأنفاس تكتب عليك، و عملك منك و إليك».[37]

فليت من الأحرف المشبّهة بالفعل، و تعمل عمله، و إحدى أخوات (إنّ)، و هي من التمني الذي يمكن حصوله و لم يفت أوانه بعد، فهو يتمنّى أن يسلك النّاس طريق الخير و الفلاح و الالتزام بمذهب القرآن الكريم، و الذّكر و الاستغفار، و الخوف من اللّه سبحانه و تعالى، ثمّ يستعمل أسلوب التّخويف بذكر القبر و الميزان و الحساب و الجزاء، فكان للتمني مقاصد تداولية عديدة تشدّ المتلّقي إليها، لجعله يفكّر في الآخرة و يعمل لأجلها، و يخاف و يحذر من وعيد اللّه.

إنّ الكاتب و إن كان منفعلا في العبارات السّابقة التي غلب عليها الأسف و الحسرة و الألم، إلا أنّه لم يفقد الأمل من إصلاح الواقع، فلجأ إلى فعل التمني، و لعل المرسِل هنا أدرك أهمية هذه الصّيغة التي قد تفتح منافذ التّواصل مع المتلّقي لإحساس هذا الأخير بإمكانية تحقيقها في الواقع، خاصة و أنّ المرسِل يعمد إلى ذكر الجزاء المنتظر. و التمني يعدّ من الأفعال الكلامية غير المنجزة، و إنّما متلفظة فقط، فهو كمتلفظ بها يدرك أنّها يمكن أن تتحقق خاصة و أنّه كان يجمع بين الفعل و نقيضه للفت انتباه المتلقي إلى ضرورة تغيير نمط حياته من الاشتغال بالأشعار إلى الأذكار و من الإدمان إلى الاستغفار، و لهذا سعى هذا النّوع من التمنّي إلى تحقيق مقاصد تداولية عديدة، تسعى إلى شدّ انتباه المتلّقي إليها، و التدبر قبل الإقدام على الفعل، و من جهة أخرى الخوف و الحذر من الآخرة.

ذكرت في "المقامة الجهادية" بعض أفعال الاستغاثة و النّدبة و التفجع، والاستغاثة هي نداء من يعين على دفع البلاء أو شدّه، و النّدبة هي نداء المتفجّع عليه أو منه. و في هذا المجال يقول: « قال أبو شجاع: اعلموا أنّ صرخات التفجع ثلاث، سجلت أهم الأحداث، و هي: وا معتصماه، وا إسلاماه، وا أمّاه».[38]

ثمّ أشار إلى المواطن التي حدثت فيها هذه الاستغاثات، ف (وا معتصماه)، تلفظت بها امرأة في عمورية، عندما أهينت في البلاد الرّومية، فسمعها المعتصم الأسد الهصور، فخرج بجيش كبير، فأذلّ من أهان المرأة، و جعله عبدا للمرأة التي استغاثت

باسمه من وراء البحار. أمّا (وا إسلاماه) فقد أطلقها قطز و بيده البتار، يوم نازل التتار، فهزم الكفّار. أمّا صرخة (وا أماه) فقد قالها طفل من الأندلس، لما رأى أمّه و هو في حضنها تختلس.[39]

و هذه الاستغاثات ذكرها الكاتب باسم أصحابها عى سبيل التّذكير بها، وإظهار الحوادث التي وقعت في الماضي و دفعت بهؤلاء إلى الصّرخة و الاستغاثة. بدأت كلّها بـ (وا) دلالة على النّداء، فكانت الأولى للاستغاثة (وا معتصماه)، و الثانية والثالثة للنّدب و التفجّع (وا إسلاماه، وا أمّاه)، و كلّها ختمت بالألف الزائدة و هاء السّكت، و هي كلّها شبيهة بالنّداء، غير أنّ الاختلاف الوارد بينهما هو أنّ الاستغاثة و النّدبة تحملان معنى التفجّع، و الذّي صنّفه "سيرل" ضمن البوحيات.

يعدّ أسلوب التّحذير من الاستراتيجيات التّوجيهية التي يلجأ إليها المتكلّم في ظروف معيّنة، و ذلك من خلال استعمال أدوات معيّنة في أشكالها المباشرة، حتى يعطي خطابه قبولا من خلال الصّراحة التي تدلّ على صدق المرسِل في التّوجيه، وكسب ثقة المرسَل إليه في خطابه، فيكون التّحذير من باب أفعال النّصح الضمني للمرسل إليه.[40]

فالتّحذير إذن هو « تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه»[41]، فقصد المتكلّم هو تنبيه المخاطب و تحذيره من شيء ما حتّى يجتنبه، و يفترض هنا حذف الفعل للإسراع في التّحذير، و الوصول إلى اللّفظ المحذّر منه، و هو حصول الفائدة لدى المرسل إليه.

و يتكون خطاب التّحذير من ثلاثة عناصر، و هي:[42]

- المرسل (المحذِّر) الذي يوجه الخطاب.
- المرسل إليه (المحذَّر) الذّي يتوجه إليه الخطاب.
- المحذور، أي المحذّر منه.

ورد التّحذير في "مقامات القرني" بغرض التّنبيه و التّخويف، فاستعمل بعض الأدوات، مثل (ويلك، ويحك)، في مثل قوله: « ويحك خف ربّك، و راجع قلبك، واذكر ذنبك، موسى خرّ من الخوف مغشيا عليه مصعوقا، و يوشع صار قلبه من الوجل مشقوقا، و بعضهم وجهه من الدّموع محروقا، كيف تصبح و تمسي، و الرّسل كلّ يقول نفسي نفسي، أعجبتك الدور و القصور يا مغرور، و نسيت القبور، و يوم النّشور، يوم يُحَصَّل ما في الصّدور».[43]

كانت هذه العبارات المسجوعة تنبيها و تخويفا في الوقت نفسه، فهي دعوة إلى التزام الخوف من اللّه سبحانه و تعالى، و مراجعة القلب و ما فيه من غلّ و ذنوب، و ما ارتكب من معاصٍ، ثمّ التّحذير من يوم النّشور، يوم يحصل ما في الصّدور و يكشف.

لجأ المرسِل هنا إلى ذكر المحذّر منه بأسماء ظاهرة دون تكرار، مع العطف بالواو، فالبداية كانت على شكل أوامر متتالية معطوفة بالواو، ثمّ ذكر نماذج من خوف الأنبياء و ما حدث لهم، و بعد ذلك ورد استفهام بغرض التعجّب و النّصح والتّحذير من يوم القيامة.

كما ورد التّحذير بأداة أخرى، و هي (ويلك)، و هي لا تكاد تختلف عن الأولى (ويحك)، استعملت في عدّة مواضع، بغرض النّصح، في "المقامة الوعظية"، « ويلك أنت مهموم بالقرش، و الفرش و الكرش، و سعد يهتّز لموته العرش».[44]

و في موضع آخر، قال: « ويلك و اللّه ما شبع النّمل حتّى جدّ في الطّلب، و ما ساد الأسد حتّى افترس و وثب، و ما أصاب السّهم حتى خرج من القوس، و ما قطع السّيف حتّى صار أحدّ من الموس».[45]

فالوارد في هذه الحالات هو أنّ الأداة مختومة بكاف الخطاب المحذّر، و يفيد التّخويف و التّحذير من الغفلة، مع التنبيه إلى ضرورة الانتباه لما هو قادم، و تعدّ هذه الحالة من أقوى درجات الصّراحة، بسبب ذكر لفظ التّحذير صراحة.

فالتّحذير من الاستراتيجيات التّوجيهية التي يلجأ فيها المرسِل إلى توجيه المرسَل إليه لما فيه منفعته و التي هي دون منفعة المرسَل و لا غيره، رغم توفر السّلطة لديه في سياقات معيّنة، غير أنّ وجود المنفعة هو مؤشّر على سعة المسافة الفاصلة بينهما، والتي من شأنها أن تخفف استعمال السّلطة.

و الدّعاء هو إحدى الآليات التي تحقق القصد من وراء الأفعال الموجهة إلى اللّه تعالى، و غالبا ما يكون على شكل مناجاة ذات اتّجاه واحد من أنا إلى أنت (اللّه)، وقد اعتبره القدماء حديثا شخصيا سمّوه "حديث النّفس"، للتّعبير عن حالة تبلغ فيها الحاجة إلى اللّه مداها [46]، و لذلك كان الدّعاء وسيلة يلجأ بواسطتها الإنسان إلى اللّه لتحقيق حاجة معيّنة.

ومن أمثلته: « أسأل اللّه العظيم بالاسم الأعظم، و الوصف الأكرم، فإنّه الأعلم الأحلم الأحكم، أن يهدي قلبي و قلبك، و أن يغفر ذنبي و ذنبك، و أن ينير بالوحي دربي و دربك».[47]

و في قوله: « فدخلنا مكتبة هائلة، أدراجها مائلة، فيها كلّ الفنون، و ملايين المتون، ممّا تبصرون و ما لا تبصرون، فنا و لونا هدية في وعاء، و قالوا: لا تنسونا من الدّعاء. قلنا: اللّهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، و لا تغادر منهم أحدا».[48]

يتوجّه هنا الدّعاء إلى الله سبحانه و تعالى، في الأول يدعو الكاتب لنفسه، متوجها إلى الله بأسمائه الحسنى و وجهه الكريم أن يهديه إلى الحق و يغفر له ذنوبه، و ينير دربه، و في الوقت نفسه يدعو لغيره، و ذلك باجتماع الياء التي تعود على المتكلّم و الكاف التي تعود على المخاطَب (قلبي و قلبك، ذنبي و ذنبك، دربي و دربك). أمّا العبارة الثّانية فهي دعاء على الغير، متبوعا بكلام توضيحي، « لأنّك لو علمت ما صنع الأمريكان، لاهتزّت منك الأركان، فهي أم إسرائيل، و بيت كلّ داء وبيل، يستعيذ منها أبرهة صاحب الفيل، ناصرت اليهود، و لم تعترف بالحدود، و ما ردعتها القيود».[49]

جاءت العبارات كمتتاليات دعائية مع استعمال الأدوات المناسبة (أسأل الله، اللّهم)، و في العبارة الثّانية أتبع بصيغة طلبية (أحصهم، اقتلهم، لا تغادر)، تشبه إلى حدّ كبير صيغة الأمر و النّهي، و التي هي بمثابة أفعال كلامية جزئية.

فالدّعاء هنا جاء كوظيفة تدعيميّة تساعد المرسل على الثبات، و هكذا تجلى كاستراتيجية و بنية مؤطرة، ارتبط في أغلبه بجلب الفائدة، حتى و إن كانت الاستجابة مؤجلة.

هذا، بالإضافة إلى أنّ المقامات تحفل بذكر العواقب التي تعدّ من الآليات المباشرة و الصّريحة لتوجيه المرسَل إليه وفق ما يريده المرسِل، و قد جاءت مقترنة بالاستراتيجيات السّابقة، كمثل ما جاء في "المقامة الإلهية": « كسرت ظهور الأكاسرة، قصّرت آمال القياصرة، هدمت معاقل الجبابرة، و أرديتهم في الحافرة، من أطاعك أكرمته، من خالفك أدّبته، من عاداك سحقته، من صادّك مزّقته».[50]

إنّ استعمال مثل هذه الاستراتيجية ترد في المواضع التي تناسب سياقات معيّنة، ترتبط في أغلبها بالجزاء، فمن أطاع الله فجزاءه الجنّة، و من خالف أوامره كان جزاءه نار جهنّم خالدا فيها، و لذلك اشتملت العبارات على الشّرط و جواب الشّرط، فمن أطاع الله أكرمه، و من خافه أدّبه، و من عاداه سحقه، و غير ذلك.

5-الخاتمة

من خلال تتّبعنا للاستراتيجيات التوجيهية في مقامات "عائض القرني"، يتبيّن لنا أنّها تعدّدت تبعا لتعدّد المواقف الخطابية، سيطر فيها ضمير المتكلّم و المخاطب، ذلك

أنّ المتكلّم في مقام توجيه المتلّقي إلى مصلحة الدّنيا و الآخرة، و بما أنّ الكاتب داعية و خطيب فإنّه يمتلك سلطة توجيه المتلّقي إلى ما ينفعه، مع بيان العواقب في النّهاية، و لذلك يمكن القول إنّ الاستراتيجيات التّوجيهية في هذه المقامات قد جسّدت المقاصد التي سعى المتكلّم إلى تحقيقها بطريقة مباشرة، من أجل إحداث التفاعل و التواصل مع المتلقي.

إنّ البناء التبليغي للمقامات مزود بمقومات خطابية تواصلية تشتمل على النّداء، الأمر و النّهي، الاستفهام، الدّعاء، الاستغاثة، التّحذير، إظهار العواقب،... و هي كلّها استراتيجيات توجيهية امتلكت مواصفات التفاعل مع المتلقي، غير أنّ هذا لا يمنع من وجود استراتيجيات أخرى، فرغم سيطرة هذه الآليات إلا أنّنا عثرنا على استراتيجيات تلميحية، و أساليب متنوعة للحجج والإقناع تستحق الدّراسة و هي مباحث أخرى مهمة من مباحث التداولية، و يمكن أن تفرد لكلّ موضوع من هذه المواضيع دراسة مستقلّة.

الهوامش

1- أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بيروت، (د.ت)، ص ص: 124-125.

2- مأمون بن محي الدّين الجنّان، الحريري صاحب المقامات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414ه- 1994م، ص ص: 62-63.

3- عائض القرني، مقامات عائض القرني، مكتبة الصّحابة، الشّارقة، الإمارات العربية المتّحدة، ط1، 1420ه- 2000م، ص ص: 13-14.

4- المصدر نفسه، ص 14.

5- المصدر نفسه، ص 15.

6- ينظر: نادر كاظم، المقامات و التّلقي، بحث في أنماط التّلقي لمقامات الهمذاني في النّقد العربي الحديث، المؤسسة العربية للدّراسات و النّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص ص: 49- 50.

7- مأمون بن محي الدّين الجنّان، الحريري صاحب المقامات، ص 58.

8- ينظر: المرجع نفسه، ص 59.

9- ينظر: عبد الفتّاح كيليطو، المقامات، السّرد و الأنساق الثّقافية، ترجمة: عبد الكبير الشّرقاوي، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2001، ص 129.

10- مقامات عائض القرني، ص 11.

11- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

12- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص ص: 324-331.

13- ينظر: ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التّلقي، دار الشّروق للنّشر و التّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1997م، ص 163.

14- ينظر: حكيمة بوقرومة، المتّلقي في الخطاب القرآني، دار المنتهى للطّباعة و النّشر و التّوزيع، الجزائر، ط1، 2015، ص 117.

(*)- تنقسم أصناف المرسل إليه عند استعمال الاستراتيجية التوجيهية إلى قسمين، الأول هو المرسل إليه المُتَخَيَّل غير الحاضر عند إنتاج الخطاب، و المرسَل إليه الحاضر لحظة التلفّظ بالخطاب، فيكون معروفا عند المرسِل معرفة جيّدة، و من ثمّ يتراوح استعمال الأدوات والآليات اللّغوية بين هذين النّمطين. و لا يعدّ التّوجيه فعلا لغويا فحسب، بل هو أيضا وظيفة من وظائف اللّغة التي تعنى بالعلاقات الشّخصية، حيث تعبّر اللّغة عن سلوك المرسِل و تأثيره في توجهات المرسَل إليه و سلوكه.

إنّ استعمال الاستراتيجية التوجيهية ينبع عن علاقة السّلطة بين طرفي الخطاب التي تتفاوت بين التباين الشديد و التقارب الملموس، و تشكّل عاملا من عوامل نجاح هذه الاستراتيجية، و إنّ توفر تلك السّلطة لدى المرسِل هو شرط أساسي عند استعمال معظم آليات التوجيه، مثل السّلطة الدّينية التي تسوّغ استعمال هذه الاستراتيجية لمن يرغب في توجيه النّاس و تبليغهم بما توجبه الشّريعة و بما تحرّمه، و من ثمّ تتدرّج أفعال التوجيه طبقا لدرجة السّلطة و وجودها من عدمها، ممّا يجعل

أفعال التّوجيه تتّخذ تصنيفا معيّنا مثل أفعال الأمر و النّصح، ... و من خلال ذلك يتّضح أنّ استعمال استراتيجية التّوجيه لا يعود إلى لا يعود إلى مميّزات فردية يتّصف بها المرسِل بقدر ما يعود إلى موقعه في السلّم الاجتماعي بصفة عامّة و علاقته بالمرسَل إليه.

تتّسم هذه الاستراتيجية بالوضوح في التّعبير عن قصد المرسل، فوضوح القصد سبب في عدم حيرة المرسَل إليه، ممّا يضمن تحقيق هدف المرسِل بنوعيه الكلّي و النّفعي في العالم الخارجي، فلا يمكن تحقيق الهدف الذي ينشده المرسِل إذا كان الخطاب غامضا، أو يحتمل أكثر من تأويل.

و هناك مسوغات عديدة لاستعمال الاستراتيجية التّوجيهية، تتمثل في التّشابه في عدد من السّمات كالسّمة المعرفية للطّالب و الأستاذ، عدم وجود تكرار في الاتّصال بين طرفي الخطاب، الشّعور بالتّفاوت في مستوى التّفكير بين الطّرفين ممّا يؤثر في فهم كلّ منهما لطبيعة الآخر، تهميش ما قد يحدثه استعمال هذه الاستراتيجية من أثر عاطفي سلبي على المرسَل إليه، تصحيح العلاقة بين طرفي الخطاب غير المتكافئين في المرتبة، و إعادتها إلى سيرتها الأولى، رغبة المرسِل في الاستعلاء أو الارتفاع بمنزلته الذّاتية و قد يتّضح هذا في خطاب المظلوم الذّي يطلب من القاضي أو الموظف أن يمنحه حقوقه، إصرار المرسِل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل، و على حصول أقصى مقتضى خطابه، حصول تحدٍّ واضح للمرسِل أو لتعليماته، و مناسبة السياق التفاعلي لاستعمال الاستراتيجية التّوجيهية بين الطّبيب و المريض.

للاستراتيجية التوجيهية جذور في التّراث العربي القديم، تتوزّع بين الدّراسات النّحوية و البلاغية و علم الأصول، فقد انصبّ اهتمام النّحاة على أحكام الإعراب و تركيب الخطاب، كما كان الطّلب أحد أهم أقسام الأفعال عندهم. أمّا البلاغيون فقد اهتّموا بها في علم المعاني، كالسّكاكي الذي قسّم المعاني إلى قسمين، هما: الخبر و الطّلب. أمّا الأصوليون فقد وضعوا حدودا و شروطا معيّنة لبعض أدوات هذه الاستراتيجية و آلياتها، قصد إدراك الحكم الشّرعي و درجته في سلّم الأحكام من خلالها.

(ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص ص: 323-331).

15- ينظر: إبراهيم السامرائي، من أساليب القرآن، دار الفرقان للنشر و التوزيع، عمّان، الأردن، 1407ه، 1987م، ص 41.

16- مقامات عائض القرني، ص 17.

17- المصدر نفسه، ص 19.

18- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

19- المصدر نفسه، ص 372.

20- المصدر نفسه، ص 490.

21- ينظر: حكيمة بوقرومة، المتلّقي في الخطاب القرآني، ص 122.

22- ينظر: خوسيه ماريا بوثوليو إيفانكوس، نظرية اللّغة الأدبية، ترجمة: حامد أبو حمد، مكتبة غريب، مصر، القاهرة، (د.ت)، ص 99.

23- ينظر: فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 5.

24- ينظر: أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي السّكاكي، كتاب مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 138.

25- مقامات عائض القرني، ص 221.

26- المصدر نفسه، ص 74.

27- المصدر نفسه، ص 75.

28- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، 2004، ص 352.

29- مقامات عائض القرني، ص 178.

30- المصدر نفسه، ص 271.

31- المصدر نفسه، ص 301.

32- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

33- ينظر: نعمان بوقرة، "نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتّفكير التّداولي في المدونة اللّسانية التّراثية"، مجلّة اللّغة و الأدب، معهد اللّغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، ع 17، 2006م، ص ص: 197- 198.

34- مقامات عائض القرني، ص 73.

35- المصدر نفسه، ص 74.

36- المصدر نفسه، ص 73.

37- المصدر نفسه، ص 214.

38- المصدر نفسه، ص 194.

39- المصدر نفسه، ص ص: 194- 195.

40- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 355.

41- ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، ج4، تحقيق: محي الدّين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 75.

42- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 355.

43- مقامات عائض القرني، ص ص: 179- 180.

44- المصدر نفسه، ص 180.

45- المصدر نفسه، ص 386.

46- ينظر: آمنة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النّقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002م، ص 94.

47- مقامات عائض القرني، ص 192.

48- المصدر نفسه، ص 549.

49- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

50- المصدر نفسه، ص 30.